

الفصل الثاني

الإطار النظري

أ. المبحث الأول: العناصر الخارجية

١. مفهوم العناصر الخارجية

العناصر هو جمع من عنصر، هي الأشياء التي وجب وجودها في بناء كل شيء مدخرة كانت أو مظهرة^١. العناصر الخارجية هي العناصر الخارجية في العمل الأدبي و لكنها مؤثرة في الأدب ومضمونه و لكن ليس عضوا فيه. كما نفهم أن تنقسم العمل الأدبي قسمان، و هما العنصر الداخلي و العنصر الخارجي، أما العنصر الداخلي و هو العنصر الذي يتكلم عن الأدب من الأحداث و الموضوع و الشخصية و البيئة و نقطة النظر و الأسلوب. و أما العنصر الخارجي فهو احد العناصر الذي يكون خارج الفن الأدبي و لكنه لا يعد من المؤثرات في نظام الفن الأدبي. و يقال إن العناصر الخارجية محسنات المعنوية للأدبية، و يقول بعض العلماء أن هذا العنصر هو العامل المؤدي إلى إنشاء العمل الأدبي^٢.

و العناصر الخارجية هي العناصر الأدبية التي تبحث فيها العناصر الاجتماعية و النفسية و التاريخية و الدنية^٣. وتحليل العناصر الداخلية للأدب هو التحليل فيما يتعلق بالأدب فحسب دون النظر الى الظواهر الخارجية التي تؤثر في إيجاد الأدب ويهمل ترجمة حياة المؤلف، وكان المؤلف كأنه مات ولا عمل شيئا في العمل الأدبي ومعنى

^١لويس معلوف، المنجد في اللغة و الاعلام، (بيروت: دار المشروق، ١٩٨٦)، ص: ٥٣٣

^٢BurhanNurdiantoro, *TeoriKajianFiksi*, (Yogyakarta: Gajah Mada University Press, ٢٠٠١) hal: ٢٣-٢٤

^٣NyomanKutaratna, *PenelitianSastra*, (Yogyakarta tp, ٢٠٠٤), hal: ٥١

هذا أن الأدب مستقل داخلي. والتحليل في هذه العناصر بنائاً على النص ليس لها ارتباط بالمعارف الأخرى كالثقافة والفلسفة والتاريخ والنفسية والدينية وغير ذلك. في الحقيقة أن العناصر الخارجية هي العناصر التي تبني العمل الأدبي من خارج العمل الأدبي المذكور. فقال "ولك و وارن" (wellekdan warren) في تعريف هذا العنصر أنه يشمل بعضة أمور و هي السيرة الذاتية للأديب و علم النفس (العملية الإبداعية) وسوسيولوجية (إجتماعية) و الثقافة الاجتماعية و الفلسفي (أفكار الكاتب).

٢. أنواع العناصر الخارجية

تتكون هذه العناصر الخارجية من أقسام، منها ترجمة المؤلف أي حالة الشخصية للمؤلف، للمؤلف الطبيعة والتقاليد ونظر للحياة كل منها ستؤثر كتابته. والثاني النفسية من المؤلف كان أم من القراء. والتالي يعنى بيئة حياة المؤلف وهي الحالة السياسية، الحالة الإجتماعية، والحالة الإقتصادية. هذه الحالات تؤثر في الأدب. والعنصر الآخر هو الفلسفة أو نظر الحياة للقوم وغير ذلك^٤.

٣. علاقة بين العناصر الخارجية والنظرية الإجتماعية في الأدب

مفهوم النظرية الإجتماعية في الأدب هي الأدب مظهر المجتمع، يتأثر الأدب بظروف ما في المجتمع، واطروف أو الأحوال الإجتماعية واسعة تشمل كل ما يعنيه البشر وما يختصمون حوله. بالأدب يعبر المؤلف الجوادث من الحياة وهو يتضمن فيها، لا مفرّ من الآثار في المجتمع. ولذلك يتأثر الأدب بالمجتمع وكذلك العكس.

^٤ Rene Wellek & Austin Warren, *Teori Kesusasteraan*, (PT. Gramedia-Jakarta: ١٩٩٠) Hal: ٧٥-١٣٥

والحوادث التي تصور عنها الأدب ارتداد العلاقة بين شخص مع شخص آخر أو مع المجتمع، وبماذا الارتداد نشأت الواقعية الإجتماعية المعينة.

والمدخل في دراسة الأدب بالنظر إلى مجال الإجتماعية سمي بالنظرية الإجتماعية في الأدب أي فهم الأدب من الناحية الإجتماعية التي تحيطه. إذا صح هذا الإصطلاح التحليل الإنساني في المجتمع، ويبدأ هذا التحليل من شخص في المجتمع، والأدب يعبر عما كان -ويكون- في المجتمع. ويقول رينه ولك (Rene wellek) إن الأدب يصور الحياة في المجتمع وإن الحياة هي الحقيقة في المجتمع^٥.

وأسس هذه النظرية هي علاقة حقيقية بين الأدب المجتمع وأسبابها كما يلي:

- إن الإنتاج الأدبي هو من المؤلف.
- والمؤلف جزء من المجتمع.
- انفع المؤلف ما من الثورة في المجتمع.
- والحاصل في الإنتاج الأدبي انفعه المجتمع أيضاً^٦.

إضافة إلى ذلك ما قرره جان فان لوكسمبروك (Jan Van

Luxemburg) أن البحث في الأدب والمجتمع ممكن أن يحلل بطريقة كما يلي:

- بطريقة البحث على العوامل الخارجية في النص ولا البحث في النص الأدب.

- والبحث في علاقة وجه الأدب وتركيب المجتمع^٧.

ودراسة إجتماعية في الأدب لها ثلاثة التقسيمات المتفرقة كما قالها رينه ولك

(Rene Wellek) وإيان وات (Ian Watt) وهي كما يلي:

^٥NyomanKhutaRatna, *ParadigmaSosiologiSastra*, (PustakaPelajar: Yogyakarta, ٢٠٠٣) cet. ١, hal: ٣

^٦NyomanKhutaRatna, *PenelitianSastra*, (PustakaPelajar: Yogyakarta, ٢٠٠٤) cet: ١, hal: ٦٠

^٧Jan Van Luxemburg, *PengantarIlmuSastra*, (PT. Gramedia: Jakarta, ١٩٨٩) cet: ٣, hal ٢٣-٢٤

❖ قرينة إجتماعية للمؤلف. وهي تتعلق بمواقع المؤلف في المجتمع وعلاقته مع المجتمع أي القراء، وتضمن فيها عوامل خارجية إجتماعية تتأثر للمؤلف وكذلك تتأثر ما من مضمون في الأدب.

❖ قرينة إجتماعية للإنتاج الأدبي أي أن الأدب مثل صورة المجتمع. وتحليل أساسي الإنتاج الأدبي، وهو ما يكتب وما يضمن في الأدب حتى الغاية أو التوصية التي تريد الوصول إليها.

❖ قرينة إجتماعية في الأدب أو عرف بالوظيفة الأدب الإجتماعية. يبحث فيه القراء و أثر الإجتماعي للمجتمع. ويطالع فيه إلى أي حد يرتبط الأدب بقيمة إجتماعية، وكذلك إلى أي حد يفيد الأدب للمجتمع كالمسلى وكالتربية أيضا^٨.

ومن المؤلف النظرية الإجتماعية في الأدب هو هيفوليت تين (Hippolyte Taine) وهو ناقد فارسي وبعد كامؤسس النظرية الإجتماعية في الأدب الحديث^٩.

وهو يقول يؤثر الأدب بالجنس، والزمان، والبيئة، سميت هذه النظرية بالجينيتيك (أثر الجنس، والزمان، والبيئة في أصل الأدب)، حيث كانت ثلاثة العوامل تؤثر في تكوين الأدب وهي الأول الجنس والزمان والبيئة. والعلاقة التبادلية بين هذه العوامل تنشأ شخصية للمؤلف حيث يصورها في الأدب. أما الجنس هو ما في شخص من بدن أو روح، والثاني الزمان يتعلق بالحالة السياسية و الإجتماعية في

^٨Faruk, *Pengantar Sosiologi Sastra*, (Pustaka : Yogyakarta, ٢٠٠٤) cet: ١, hal: ٤

^٩Syukron Kamil, *Teori Kritik Sastra Arab*, (Rajawali Pers: Jakarta, ٢٠٠٩) hal: ١١٤

وقت معين، وفي هذا التعريف للزمان أفكار مسيطرة، والثالث البيئة، والمراد بالبيئة هي الأقاليم، فيها الطبيعية والاجتماعية، فطبعاً لهذه العوامل أثر مهم في الأدب^{١٠}.

ب. المبحث الثاني: الشعر

١. مفهوم الشعر

الشعر من الفنون الجميلة التي يسميها العرب الآداب الرفيعة، وهي الحفر والرسم والموسيقى والشعر. ومرجعها إلى تصوير جمال الطبيعة، فالحفر يصورها بارزة. والرسم يصورها مسطحة بالأشكال والخطوط، والألوان، والشعر يصورها بالخيال ويعبر عن إعجابنا بها وارتياحنا إليها بالألفاظ.. فهو لغة النفس أو هو صور ظاهرة لحقائق غير ظاهرة. والموسيقى كالشعر.. وهو يعبر عن جمال الطبيعة بالألفاظ والمعاني، وهي تعبر عنه بالأنغام والألحان، وكلاهما في الأصل شيء واحد..^{١١}.

الشعر العربي هو نظم الشعر في اللغة العربية فن مستقل بذاته بين الفنون التي عرفت في العصر الحديث باسم الفنون الجميلة، وتلك مزية نادرة جداً بين أشعار الأمم الشرقية والغربية، خلافاً لما يبدر إلى الخاطر لأول وهلة. فإن كثيراً من أشعار الأمم تكسب صنتها الفنية بمصاحبة فن آخر، كالغناء أو الرقص أو الحركة على الإيقاع. ولكن النظم العربي فن معروف المقاييس والأقسام بعد استقلاله عن الغناء والرقص والحركة الموقعة، فلا يصعب تمييزه شطرة بمقياسه الفني من البحور والأعاريض إلى الأوتاد والأساليب^{١٢}.

^{١٠} Rene Wellekdan Austin Warren, *Teori Kesusasteraan*, (PT. Gramedia: Jakarta, ١٩٩٠), hal ١٢٦

^{١١} جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، (دار الفكر: بيروت- لبنان) الطبعة الأولى، ص: ٥٢
^{١٢} عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، (مكتبة غريب: الفجالة) ص: ١٤٢

الشعر هو الكلام الفصيح الموزون المقفى المعبر غالباً عن صور الخيال البديع. و اذا كان الخيال أغلب مادته أطلق بعض العرب تجوزاً لفظ الشعر على كل كلام تضمن خيالاً و لو لم يكن موزوناً مقفياً^{١٣}. و قال قدامة بن جعفر في تعريف الشعر: "انه قول موزون مقفى يدل على معنى، و الأسباب المفردات التي يحيط بها حد الشعر، و هي اللفظ و المعنى و الوزن و التقفية"، فكما أن الكلام يكون فصيحاً و موزوناً مقفياً، و هذا يعنى أن الكلام منظوم في الوزن و القافية. و الشعر عند بن خلدون هو الكلام الموزون المقفى و معناه الذي تكون أوزانه كلها على روى واحد و هو القافية^{١٤}.

هذا هو تعريف الشعر في الحقيقة، ولكن علماء العروض من العرب يريدون بالشعر الكلام المقفى الموزون فيحدرون حدوده بالألفاظ، وهو تعريف للنظم لا للشعر .. وبينهما فرق كبير، اذ قد يكون الرجل شاعراً ولا يحسن النظم، وقد يكون ناظماً وليس في نظمه شعر .. وإن كان الوزن والقافية يزيدان الشعر طلاوة ووقعاً في النفس، فالنظم هو القالب الذي يسبك فيه الشعر، ويجوز سبكة في النثر. وقد تقدم ابن خلدون خطوة في تعريف الشعر، فقال: ((الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به)) فهو يجعل التقفية والوزن من شروط الشعر، ويشترط ايضاً استقلال كل بيت منها بغرضه. وهو تقييد لا باعث له إذ قد ترى في الكلام المنشور معاني تؤثر في نفسك تأثير الشعر، وذلك كثير في كلامهم، والحكم فيه للذوق^{١٥}.

^{١٣} احمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب، (دار الفكر)، ص: ٣٤١

^{١٤} احمد الشايب، اصول النقد الادبي، (مصر: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤) ص: ٢٩٥

^{١٥} جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، (دار الفكر: بيروت- لبنان) الطبعة الاولى، ص: ٥٢

فى التعبير الشعرى شىء من هذا، فالظاهر أن الإيقاع فيه ووفرة التصورات الخيالية، يساعدان الألفاظ على استنفاد الانفعال بطريقة شبه عضلية وحسية، لأنها تمت بسبب إلى الرقص والغناء وسيلقى التعبير الحسديتين عن الانفعال الوجداني الفنى. وعلى هذا لا يكون الإيقاع فى الشعر ولا التعبير اللفظى المشع ناقلة، فإن للإيقاع وظيفة خاصة يؤديها فى استنفاد الطاقة الشعورية، وهو جزء من دلالة التعبير كالدلالة المعنوية اللغوية. أما الصور والظلال فهي استنفاد لطاقة الحس والخيال المصاحبة للتجربة الشعورية القوية، الفائضة عن التعبير اللفظى المجرد^{١٦}.

ففى الشعر العربى تنوية بكل صفة من صفات المروءة والفتوة. وإزراء بكل عيب من العيوب التى تشين صاحبها بين قومه، وبيان واف للأخلاق التى تحكم الحياة فعلاً أو ينبغى أن تحكمها وتترأى فيها مرجحه مشرقة بين سائر الأخلاق^{١٧}.

لا بد أن نبدأ بالشعر لهذا السبب، ولسبب آخر: ذلك هو أن التعريف الذى اخترناه للعمل الأدبى يصدق صدقاً كاملاً وحرفياً على الشعر بخاصة فى إجماله وفى تفصيله، بينما تضعق بعض عناصره أو تتروى فى بعض العمل الأدبى الأخرى^{١٨}.

و من هنا يمكن لنا القول أن الكلام فى الشعر يكون منظوماً فيه و لذلك فلا غرابة فيما اذا كان هناك من يرى أن الشعر هو الكلام المنظوم فى الوزن و القافية^{١٩}. الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة و الأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة فى الوزن و الروي (مستقلاً) كل جزء منها فى غرضه و مقصده عما قبله و بعده و الجارى على أساليب العرب المخصوصة به و قولنا الجارى على

^{١٦٦} سيد قطب، النقد الأدبى أصوله ومناهجه، (دار الشروق: القاهرة-مصر، ٢٠٠٦م)، ص: ٦٤
^{١٧} عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة مزايا الفن والتعبير فى اللغة العربية، (مكتبة غريب: الفجالة) ص: ٩٠
^{١٨} سيد قطب، النقد الأدبى أصوله ومناهجه، (دار الشروق: القاهرة-مصر، ٢٠٠٦م)، ص: ٦٢
^{١٩} طه حسين، من تاريخ الأدب العربى. (بيروت: دار العلم ملائيب، ١٩٨١) ص: ٦١

الأساليب المخصصة به فصل له (أي بفصله يجعله مفصلاً مختلفاً) عما لم يجر منه على أساليب الشعر المعروفة، فإنه حينئذ لا يكون شعراً، إنما هو كلام منظوم، لأن الشعر له أساليب تخصه لا تكون للمنتثر. وكذا أساليب المنتثر لا تكون الشعر. فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب فلا يسمى شعراً. وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء، لأنهما لم يجريا على أساليب العرب فيه.....^{٢٠}.

فالشعر في كثير من اللغات قد يلاحظ فيه الإيقاع ولا تلاحظ فيه القافية ولا الأوزان المقررة، وقلما تلاحظ القافية في الأشعار التي تنشدها الجماعات، كالشعر المسرحي عند اليونان، وتراتيل الصلاة والعبادة عند العبريين^{٢١}.

والشعر في الأدب العرب متميز الطبيعة عن النثر بحكم ظهور الإيقاع الموسقى المقسم، وبحكم القافية. ولا يحلو النثر الفني من الإيقاع الذي يبلغ حد الكمال والاتساق أحياناً - كالأمثلة التي مرت في الفصل السابق - ولكنه إيقاع من نوع آخر غير النوع الذي يحتويه النظم. وكذلك لا يحلو النثر الفني من القافية المتحدة أو المتقاربة في بعض فنونه كالسجع والازدواج، ولكنها تختفي في فنونه الأخرى الطليقة. ليس في كل لحظة يجد الإنسان نفسه في حاجة لأن يقول الشعر، ولا في كل حالة يحس الدافع إليه. هناك تجارب شعورية معينة تثير انفعالات شعورية خاصة، لا يستنفدها إلا التعبير الشعري. وقد لا يكون صاحبها من القادرين على

^{٢٠} الدكتور عمر فروغ، (تاريخ الأدب العربي الجزء السادس، دار العلم للملايين: بيروت لبنان ١٩٨٣)، ٥٩٨.

^{٢١} عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، (مكتبة غريب: القاهرة) ص: ٢٦.

النظم فيعبر نثراً، ولكنه شبه موزون من ناحية الإيقاع، ومشحون بالصور والظلال التي هي ميزة الشعر الكبرى^{٢٢}.

ومهما يكن من شيء فإن في الشعر جمالاً فنياً خالصاً يأتيه أحياناً من قبل اللفظ وأحياناً من قبل المعنى، وأحياناً من قبلها جميعاً. ومهما يختلف حظ الشعر من هذا الجمال، ومهما يختلف ذوق النقاد ورأيهم في هذا الجمال، فإن للشعر منه حظاً ما يتفق الناس جميعاً اذا سلمت أذواقهم في إحساسه والشعور به. وإذا كان الشعراء والأدباء متفقين على أن الشعر يجب أن يتقيد لفظه بالوزن والقافية، فهم متفقون كذلك على أن الشعر يجب أن يكون له حظ ما من هذا الجمال الفني مهما يكن مصدره ومقداره^{٢٣}.

وفي هذه اللحظات يكون الشعر هو التعبير المناسب لاستنفاد الطاقة الشعورية الزائدة على ما يستطيع التعبير الثرى أن يستنفده. فالشعر ليس تعبيراً عن الحياة - كما غال بعض الكتاب - إنما هو تعبير عن اللحظات الأقوى والأملأ بطاقة الشعورية في الحياة.

وليس لموضوع التعبير في ذاته دخل في هذا. فالمهم هو درجة الانفعال الشعوري بهذا الموضوع. فقد يقف الشاعر أمام الطبيعة الجميلة المزهوة في الربيع فلا تثير انفعاله لسبب من الأسباب، فقد يقف أمام دودة حقيرة، أو حائط متهدم، فتجيش نفسه وتنفعل. فتكون التجربة الأولى بعيدة عن الروح الشعرية والتعبير الشعري. وتكون الثانية هي الحافلة بطاقة الحافزة على التعبير، وهذا البيان ضروري هنا لإيضاح ما نريد^{٢٤}.

^{٢٢} سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، (دار الشروق: القاهرة-مصر، ٢٠٠٦م)، ص: ٦٢-٦٣

^{٢٣} طه حسين، من تاريخ الأدب العربي. (بيروت: دار العلم ملايين، ١٩٨١) ص: ٦٤

^{٢٤} سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، (دار الشروق: القاهرة-مصر، ٢٠٠٦م)، ص: ٦٤

٢. أقسام الشعر

فقد ظهر انصار الجديد على الشعر الاجنبي قديمه و حديثه، و عرفوا ان هذا الشعر - على انه غني في نفسه خصب في لفظه ومعناه - كثير الانواع متباين الفنون، له من ذلك حظ ليس للشعر العربي مثله. و كيف لا و قد رأوا عند اليونان و الرومان و الفرنج شعرا يسمى الشعر القصصي، و آخر يسمى الشعر التمثيلي، ورأوا لكل نوع من هذه الانواع خصائص ومميزات وحظوظا من الجمال مختلفة، ورأوا ان صنوف هذا الشعر الاجنبي وتنوعة، واختلاف المذاهب فيه قد استطاع ان يمثل حياة اصحابه من وجوه كثيرة، واستطاع في الوقت نفسه ان يعرض على الناس مظاهر الجمال الفني المطلق مختلفة متنوعة، والمسوا ذلك من الشعر العربي فلم يجدوه ولم يجدوا شيئا يقرب منه، فوصفوه بالنقص والضعف، ووصفوا اصحابه بالقصور، واندفعوا الى افتتاحهم بالشعر الاجنبي وازدرائهم للشعر العربي حتى أحفظوا انصار القديم وغازطوهم، فهب هؤلاء يذودون عن شعرهم العربي، ولكنهم لم يسلكوا في هذا الدقاع طريقا سوا، وانما التوت بهم سبل، فخلطوا وأفسدوا الامر على انفسهم وعلى الشعر العربي. فالشعر القصصي، كما يعرفه اصحاب هذا الفن من القدماء والمحدثين، لا يعتمد على ذكر الابطال والحروب ليس غير، وانما هو يعتمد على ذلك، ويعتمد على ذلك، ويعتمد على اشياء اخرى منها اللفظي ومنها المعنوي، فهو في لفظه طويل مسرف في الطول تبلغ القصيدة من قصائده آلاف من الأبيات^{٢٥}.

وهذه كلها في نظر الشاعر غير العربي نوع من أنواع الشعر يسمونه الغنائي أو الموسيقي، لأن مرجعه الى التأثير على النفس تأثير الموسيقى. وينقسم الشعر عند

^{٢٥} طه حسين، من تاريخ الادب العربي. (بيروت: دار العلم ملايين، ١٩٨١) ص: ٦٩-٧١

الافرنج الى ثلاثة أنواع: الأول الشعر القصصي Epique، والثاني الشعر الغنائي Lyrique، والثالث الشعر التمثيلي Dramatique. فالشعر القصصي أقدمها، وهو عبارة عن سرد الوقائع أو الحوادث في الشعر (موزوناً أو غير موزون) على سبيل القصة، وأكثرها دينية، وأبطالها الآلهة ومعظم حوادثها عنهم وبهم. قضى اليونان بضعة قرون وليس عندهم غير الشعر القصصي، وفيه أخبار آلهتهم وحروبها وعلاقتها بالبشر. ثم قالوا الشعر الغنائي وقد نضج عندهم نحو القرن السابع قبل الميلاد على أثر الحوادث السياسية والحروب التي قامت بين الأحزاب اليونانية وتغلب فيها الشعب على الاشراف كما تقدم. ثم رأوا الكلام وحده لا يكفي لتحريك العواطف وتمثيل الفضائل، فعمدوا الى تمثيلها للعيان بحوادث اخترعوها يؤدي سردها أو تمثيلها الى مغزى ما يريدون. فبدلاً من أن يمدح شاعرهم الشجاعة مثلاً ويحجبها الى الأبطال ببلاغة البيان الشعري، عمدوا الى نظم قصة تظهر فضل هذه المنقبة يمثلونها على مشهد من الناس لتكون أوقع في النفس وأثبت في الذهن، وسموا هذا النوع من الشعر ((الشعر التمثيلي ويراد بالشعر التمثيلي في أصل وضعه تمثيل الوقائع التي ترمي الى الموعظة أو الحكمة سواء مثلت على المسرح أو لم تمثل، وفي الشعر القصصي شيء منه لأن الياذة هو ميروس لا تخلو من مشاهد تمثيلية^{٢٦}.

وقد فرع طه حسين أنواع أو أقسام الشعر العربي في العصر الحديث إلى هذه الثلاثة: الأول الشعر الملتزم: هو الشعر الذي يقلد قواعد العروض في الوزن و القافية و هذا ما يسمى بالشعر التقليدي، و الثاني الشعر المرسل: هو الشعر الذي يقلد التفعيلات العروضية و لكن لا يقلد الوزن و القافية، و الثالث الشعر الحر: هو الشعر الذي لا يقلد الوزن و لا القافية حتى التفعيلات بل إنما مفيد بالنظم الشعري، يعبر

^{٢٦} جرجي زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية، (دار الفكر: بيروت- لبنان) الطبعة الاولى، ص: ٥٣-٥٥

فيه الشاعر مشاعره و خياله بالكلام الجميل^{٢٧}. ولقد سلك الشعر هذا الحطة تقريباً في تاريخه كله. سواء كان شعراً غنائياً كما في الأدب العربي القديم، أو شعر ملاحم وتمثيلات كما في الأدب الإغريقي والأوروبي، وبعض الأدب العربي الحديث^{٢٨}.

٣. أغراض الشعر

العرب يقسمون الشعر إلى الفخر والحماسة والمدح والثناء والعتاب والغزل والتشبيب وغيرها من الأغراض^{٢٩}، الأغراض جمع من الغرض، و يبدو ذلك فيما ذكره لويس معلوف إذ قال بأن الغرض جمعه أغراض و هو بمعنى البغية و الحاجة و القصد. و تارة أنه بمعنى الهدف الذي يرمى اليه فضلاً أن يكون بمعنى الحزب^{٣٠}. والأغراض في المصطلح العلمي الأدبي (استعملت لمعنى المقاصد) و مثل ذلك ما ذكره علماء الأدب في قولهم عن أغراض الشعر فكانوا يذكرونها و يريدون منها مقاصد هذا الفن كالممدح و الهجاء و الرثاء. و هكذا بعض الأغراض التي هم بها الشعراء في نظم الشعر. و مثل ذلك كثير في عناية الشعراء نظراً لأنهم تفتنوا في كثير من الأغراض و يبدو ذلك اذا ما و قفنا الى جانب الدكتور محمد محمد خليفة اذا أثار الى ذلك حيث قال ما يفيد بأن الشعراء قالوا في أغراض شتي من فخر و مدح و رثاء و غزل و هجاء و وصف و عتاب و اعتذار و استعطاف و تهان و غير ذلك^{٣١}.

^{٢٧} طه حسين، من تاريخ الادب العربي. (بيروت: دار العلم ملايين، ١٩٨١) ص: ٦١
^{٢٨} سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، (دار الشروق: القاهرة-مصر، ٢٠٠٦م)، ص: ٦٤
^{٢٩} جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، (دار الفكر: بيروت-لبنان) الطبعة الاولى، ص: ٥٣
^{٣٠} لويس معلوف، (المنجد في اللغة و الأعلام)، ص: ٥٤٨
^{٣١} محمد محمد خليفة، (الادب و النصوص في العصر من الجاهلي و صدر الاسلام)، ص: ٣٥

تقدم ما للشعر الجاهلي من الخصائص التي يمتاز بها على الإجمال، ولكن هذه الخصائص تختلف باختلاف أعرش الشعراء .. وينقسم الشعراء من هذا الوجه الى مجاميع، لكل منها غرض أو أسلوب أو منحى خاص. وسنتوخى في تقسيمهم غير ما نراه في كتب القدماء، فنقسم الشعراء بالنظر الى أغراضهم في النظم^{٣٢}.

ج. المبحث الثالث: حياة حسان بن ثابت

حسان بن ثابت (ت ٦٧٤): شاعر مخضرم من أهل المدينة. مدح الغساسنة في الجاهلية. أسلم ولقب بشاعر النبي. هجا القرشيين. له ديوان^{٣٣}. كانت يثرب، المدينة التي نشأ فيها حسان، إحدى مدن الحجاز المهمة إلى الشمال من مكة والطائف. ولا تتوافر لدينا أخبار موثوقة عن سكاها القدامى، إذ لم يستطع المؤرخون المحدثون جلاء تاريخ يثرب القديم. والذي نعرفه، ويهمنا الآن، أن أهل المدينة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا عربا ويهودا. وكان العرب فيها ينقسمون الى قبيلتين كبيرتين هما الأوس والخزرج، وبينهما صلة قربى معروفة، ومن أشهر قبائل اليهود فيها قبيلتا فريضة والنضير^{٣٤}.

حسان بن ثابت الأنصاري شاعر عربيو صحابي من الأنصار، ينتمي إلى قبيلة الخزرج من أهل المدينة، كما كان شاعراً معتبراً يفد على ملوك آل غسان في الشام قبل إسلامه، ثم أسلم وصار شاعر الرسول بعد الهجرة. توفي أثناء خلافة علي بن أبي طالب بين عامي ٣٥ و ٤٠ هـ. ولد في المدينة قبل مولد الرسول بنحو ثمانين سنين، فعاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين سنة أخرى، وشب في بيت وجاهة وشرف، منصرفاً إلى اللهو والغزل.

^{٣٢} جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، (دار الفكر: بيروت- لبنان) الطبعة الاولى، ص: ٩٥

^{٣٣} لويس معلوف، (المنجد في اللغة والأعلام)، ص: ٢٢٠

^{٣٤} الأستاذ عبداً. مهنا، ديوان حسان بن ثابت، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية)، ص: ٧

وهو من بني النجار أحوال عبد المطلب بن هاشم جد النبي محمد من قبيلة الخزرج، ويروى أن أباه ثابت بن المنذر الخزرجي كان من سادة قومه، ومن أشرفهم، وأما أمه فهي الفريضة بنت خنيس بن لوزان بن عبدون وهي أيضا خزرجية. ولد ٦٠ قبل الهجرة على الأرجح صحابي وكان ينشد الشعر قبل الإسلام، وكان ممن يفدون على ملوك الغساسنة في الشام، وبعد إسلامه اعتبر شاعر النبي محمد بن عبد الله.^{٣٥}

هو حسّان بن ثابت بن المنذر الأنصاري، ويكنى أبا الوليد وأبا الحسام، وأمّه الفريضة من الخزرج. وهو جاهلي أسلامي متقدم الإسلام، إلا أنه لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهدا. لأنه كان جبانا. وكانت له ناصية يسد لها بين عينيه، وكان يضرب لسانه روثة أنفه، من طوله ويقول: ما يسرني به مقول أحد من العرب، والله لو وضعته على شعر لحلقه، أو على صخر لفلقه. وعاش في الجاهلية ستين سنة و في الإسلام ستين سنة. ومات في خلافة معاوية، وعمى في آخر عمره.

قال الأصمعي: الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف، هذا حسّان (بن ثابت) فحل من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره، وقال مرة أخرى: شعر حسّان في الجاهلية من أجود الشعر، فقطع متنه في الإسلام، لحال النبي صلى الله عليه وسلم^{٣٦}. وكان حسّان يفد على ملوك غسّان بالشام وكان يمدحهم، ومن جيّد شعره قوله فيهم:

أولادُ جفنةَ حول قبر أبيهم # قبر ابن ماريةَ الكريمِ المفضلِ

^{٣٥} <http://library.islamweb.net/newlibrary/showalam.php?ids=١٤٤>

^{٣٦} الإمام ابن قتيبة، الشعر والشعراء لابن قتيبة، (القاهرة: دار الحديث)، ص: ٢٩٦

يسقون من ورد البريصَ عليهم # بَرَدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
يُغَشَّوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ # لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

وابن مارية وهو الحارث الاعرج بن ابي شمير العسائي وكان أثيراً عندهم ولذلك يقول:

قد أراي هناك حَقَّ مَكِينٍ # عند ذي التَّاجِ مَقْعَدِي وَمَكَانِي

ولما سار جبلة بن الأيهم الى بلاد الروم، ورد على ملك الروم رسول معاوية، فسأله جبلة عن حسان، فقال له شيخ كبير قد عَمِيَ، فدفَعَ اليه الف دينار وقال ادفعها الى حسان، قال فلما قدمتُ المدينة ودخلتُ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتُ فيه حسان بن ثابت فقلتُ له صديقك جبلة يقرأ عليك السلام، قال: فهات ما معك فقلتُ يا أبا الوليد: كيف علمتَ قال: ما جاءتني منه رسالة قطُّ إلا ومعها شيء. هذا في بعض الروايات^{٣٧}.

حسان بن ثابت توفي سنة ٥٤ هـ، هو من الخزرج من أهل المدينة، وقد عاصر الجاهلة والاسلام .. فهو من المخضرمين. واشتهر في الجاهلية بمدح ملوك غسان وملوك الحيرة، وله مع النابغة الذبياني أحاديث. واختص بعد الإسلام بمدح النبي والدفاع عنه، وهو يعد أشهر أهل المدن في ذلك العصر. وكان شديد الهجاء حتى قبل لو مزج البحر بشعره لمزجه. قال أبو عبيدة: ((فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الانصار في الجاهلية، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الاسلام))^{٣٨}.

^{٣٧} أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص: ١٨٨-١٨٩
^{٣٨} جرجي زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية، (دار الفكر: بيروت- لبنان) الطبعة الاولى، ص: ١٦٠-١٦١

نشأ حسان في قبيلة الخزرج والتي كانت لها باع في المعارك والتراعات مع قبيلة الأوس وشهدت المدينة الكثير من الوقائع بينهما، ومثلما خرج قيس بن الخطيم كشاعر للأوس خرج حسان بن ثابت شاعراً للخزرج، وتبارى كل منهما في عرض شعره والذي يمدح به قبيلته ويهجو الأ، فنظم حسان الشعر في بادئ الأمر من أجل التفاخر والذود عن قبيلته ضد الهجمات الشعرية التي يشنها عليها قيس بن الخطيم، ويرد بمثلها الأمر الذي جعله ذائع الشهرة بين العرب^{٣٩}.

أجمع المؤرخون العرب على أن حسان عاش مائة وعشرين سنة، ستون منها في الجاهلية وستون في الاسلام، وذكر بعضهم انه ولد قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم ببضع سنين. ورأى آخرون أنه مات سنة (٥٠هـ) في خلافة معاوية بن أبي سفيان. غير أن المستشرق الشهير نولدكه لا يعتقد أنه عاش هذا العمر الطويل، ويعلل وهم قدماء المؤرخين بأنهم التبس عليهم أعمار ملوك غسان و تسلسلهم. ويرجح أن يكون حسان اتصل ببلاط بني جفنة حوالي سنة ٦١٠م^{٤٠}.

انعكست علاقة حسان مع الملوك على أسلوبه الشعري حيث تميزت قصائده في المديح عن غيرها، هذا بالإضافة لإلمامه بالشعر الهجائي وأساليبه وأدواته ومذاهبه، واعتمد في أدائه الشعري على التضخيم والتعظيم وضم شعره الألفاظ الجزلة القوية. قال عنه أبو عبيدة "فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام. تنوع شعر حسان بين كل من الهجاء والفخر والمدح والثناء، فقبل دخوله إلى الإسلام تركز شعره على الفخر والشعر النضالي والذي يعمل من خلاله على المفاخرة بقبيلته الخزرج والرد على الهجمات الشعرية لقيس بن الخطيم من قبيلة الأوس،

^{٣٩} حسان بن ثابت _ ٣٥ / ٣ www.madinah.net/alkotob

^{٤٠} الأستاذ عبدأ. مهنا، ديوان حسان بن ثابت، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية)، ص: ٨

وهجاء الخصوم، ثم انتقل إلى مرحلة أ فتركز شعره على المدح فمدح العديد من الملوك والأمراء الذين اجزلوا له العطايا والهدايا، وكان يميل قبل الإسلام إلى حياة اللهو وشرب الخمر وله أوصاف في الخمر والغزل، ثم أنتقل بشعره بعد الإسلام إلى الدفاع عن الإسلام وعن الرسول عليه الصلاة والسلام ومدحهم، والرد على أنصار الجاهلية، وقد ارتقى حسان في هذه المرحلة بشعره فلم يكن من اجل الاستجداء أو التكسب بل من أجل نصرته الإسلام ورسوله، ومدح الصحابة والتابعين^{٤١}.

كانت أسرة حسان ذات شأن عظيم في الجاهلية والإسلام. فوالده ثابت بن المنذر قد حكمته الأوس والخزرج في حرب سمير ونزلوا على حكمه. وكان لحسان أخوان هما: أوس بن ثابت، وأمه سخطى بنت حارثة، فهو أخو حسان لأبيه، وكان ممن شهد العقبة الأخيرة من الأنصار، ونزل عليه عثمان بن عفان حين هاجر إلى المدينة وآخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينهما، وكان لهذه المؤاخاة أثرها في نزعة حسان العثمانية، واستشهد يوم أحد. وأخوه الثاني أبو شيخ أبي بن ثابت وأمه سخطى بنت حارثة، وقيل عمرة بنت مسعود. وكان ممن شهد بدرًا من الأنصار واستشهد يوم بئر معونة مع من غدر بهم بنو سليم من المسلمين^{٤٢}.

ولقد سجلت كتب الأدب والتاريخ الكثير من الأشعار التي ألّفها في هجاء الكفار ومعارضتهم، وكذلك في مدح المسلمين وثناء شهدائهم وأمواتهم. وأصيب بالعمى قبل وفاته، ولم يشهد مع النبي مشهدًا لعله أصابته ويعد في طبقة المخضرمين من الشعراء لأنه

^{٤١} كتاب حسان بن ثابت _ ٣/٣٥ www.madinah.net.com/alkotob

^{٤٢} الأستاذ عبدأ. مهنا، ديوان حسان بن ثابت، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية)، ص: ٩

أدرك الجاهلية والإسلام. وتوفي في المدينة المنورة زمن خلافة معاوية وقد بلغ من العمر ١٢٠ عاماً^{٤٣}.

١. حسّان الشاعر الجاهلي:

كان حسّان شديد العصبية لقومه، فلا يكاد يتعرض لهم أحد بسوء حتى ينبري للدفاع عنهم بشعره فيشيد بمناقبهم ويهجو أعداءهم. وهذه العصبية تفسر لنا غلبة الهجاء و الفخر على شعره الجاهلي. وكان حسّان يشارك في الحياة الأدبية في عصره، وكان على صلة بالشعراء الذين يفدون على عكاظ في المواسم، ومنهم النابغة والأعشى والخنساء. واتصل بالغساسنة ملوك جلق بمدحهم بشعر جيد ويتقاسم، هو والنابغة الذبياني وعلقمة الفحل وغيرهم من شعراء البلاط أعطيات بني غسان، وقد طابت لحسان الحياة في ظل تلك النعمة، إذ أن الغساسنة أكرموه واغدقوا عليه العطايا وجعلوا له مرتبا، وكان هو يستدر ذلك العطاء بشعره:

يغسون حتى ما تهر كلابهم # لا يسألون عن السواد المقبل

يسقون من ورد البريص عليهم # بردى يصفق بالرحيق السلسل

بيض الوجوه كريمة أحسابهم # شم الأنوف من الطراز الأول

وحيثما يمدح حسان الغساسنة، فإنه لا يسلك سلوك الشعراء الغرباء عنهم يمدحونهم ليأخذوا عطاءهم فحسب، ولكنه يمدحهم ليفتخر بهم لأنهم أحواله الذين

^{٤٣} <http://library.islamweb.net/newlibrary/showalam.php?ids=١٤٤>

استطاعوا أن يبنوا لهم مجداً، فمجدهم مجده، وذكر محامدهم فخر له^{٤٤}. ومن شعره في الجاهلية قوله يمدح جبلة بن الأيهم الغساني:

أولاد جَفْنَةَ عند قبر أبيهم # قبر ابن مَؤَيَّةَ الكريمِ المفضلِ
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عليهم # بَرَدَى يَصْفَقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
يُغَشَّوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كلابهم # لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبَلِ
بِيضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةُ أَحْسَابهم # شَمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ^{٤٥}

كانت المدينة في الجاهلية ميداناً للنزاع بين الأوس والخزرج، تكثر فيها الخصومات والحروب، وكان قيس بن الخطيم شاعر الأوس، وحسان بن ثابت شاعر الخزرج، الذي كان لسان قومه في تلك الحروب التي نشبت بينهم وبين الأوس في الجاهلية، فصارت له في الجزيرة العربية شهرةً واسعة. وقد اتصل حسان بن ثابت بالغساسنة، يمدحهم بشعره، ويتقاسم هو والنابعة الذي يانيو علقمة الفحل أعطيات بني غسان، وقد طابت له الحياة في ظل تلك النعمة الوارفة الظلال، ثم اتصل ببلاط الحيرة وعليها النعمان بن المنذر، فحلّ محلّ النابغة، حين كان هذا الأخير في خلاف مع النعمان، إلى أن عاد النابغة إلى ظل أبي قابوس النعمان، فتركه حسان مكرهاً، وقد أفاد من احتكاكه بالملوك معرفةً بشعر المديح وأساليبه، ومعرفةً بشعر الهجاء ومذاهبه، ولقد كان أدؤه الفني في شعره يتميز بالتضخيم والتعظيم، واشتمل على ألفاظ جزلة قوية، وهكذا كان في تمام الأهبة للانتقال إلى ظل محمد نبي الإسلام، والمناضلة دونه بسلاحي مَدْحِهِ وهجائه^{٤٦}.

^{٤٤} الأستاذ عبداً. مهنا، ديوان حسان بن ثابت، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية)، ص: ١١

^{٤٥} جرجي زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية، (دار الفكر: بيروت- لبنان) الطبعة الأولى، ص: ١٦١

^{٤٦} حسان بن ثابت _Islam story.com/ar/_

٢. حسان شاعر الإسلام

بعد هجرة محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى يثرب واتخاذها مقراً لبث دعوته، عرفت منذ ذلك الحين بمدينة الرسول، وتطلعت إليها أنظار العرب، وهفت إليها قلوب المسلمين. ولم يكن للمدينة أن تحتل المترلة التي وصلت إليها بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها لو لم تبادر قبيلتا الأوس والخزرج إلى اعتناق الدين الجديد، وإلى أيواء حامل الرسالة الذي حقق المؤاخاة بين المهاجرين وأهل المدينة، ولم يعد يفرق بين القبيلتين فيها تفريقاً قليلاً وإنما أسماهم جميعاً إسماءً واحداً هو الأنصار فأصبحوا أخواناً:))

صَبَحْتُمْ قُلُوبَكُمْ بَيْنَ فِئَتَيْنِ فَالْفَأْ عَدَاءُ كُنْتُمْ إِذْ عَلَيَكُمْ اللَّهُ نِعْمَتَ وَادْكُرُوا وَتَفَرَّقُوا وَلَا جَمِيعًا اللَّهُ يَجْبِلُ وَأَعْتَصِمُوا
إِخْوَانًا بِنِعْمَتِهِ فَآءُ^{٤٧}.

في هذا الوقت كانت نيران الحروب بين القبيلتين قد خمدت في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعد الشعراء يجدون موضوعاً آخر ينظمون فيه ويعبرون عن ذواتهم من خلاله كما كانوا يفعلون في الجاهلية، غير أن قريشاً سرعان ما خلقت لهم الموضوع الجديد وذلك عندما أخذ شعراؤها في هجاء الرسول والمسلمين^{٤٨}.

أما في الاسلام، فكان حسان في جملة من أسلم وأخذ يناصر الرسول صلى الله عليه وسلم. ولم يكن رجل حرب فنصره بلسانه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسربه ويستنشده الاشعار في الدفاع عن المسلمين اذا هجاهم هاج من المشركين أو غيرهم. وقد حمله الرسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك ليرد عنه هجو الهاجمين.. فقد كان يهجو الرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلكين ثلاثة من قريش هم: عبید

^{٤٧}سورة آل عمران الآية: ١٠٣

^{٤٨}الأستاذ عبداً. مهنا، ديوان حسان بن ثابت، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية)، ص: ١٢-١٣

الله بن الزبعرى، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعمر بن العاص. فقال قائل لعلني بن أبي طالب: ((اهج عنا القوم الذين قد هجونا)) فقال علي: ((إن أذن الرسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت)) فقال الرجل: ((يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن لعلني كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا)) قال صلى الله عليه وسلم: ((ليس هناك أو ليس عنده ذلك)) ثم قال: ((ما يمنع القوم الذين نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروه بألستهم؟)) فقال حسان بن ثابت: ((أنا لها)) وأخذ بطرف لسنه وقال: ((والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء)) قال: ((كيف تهجوهم وأنا منهم)) فقال: ((إني أسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين)) فكان يهجوهم ثلاثة من الانصار: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والايام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب. وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر^{٤٩}.

لما بلغ حسان بن ثابت الستين من عمره، وسمع بالإسلام، دخل فيه، وراح من فوره يرد هجمات القرشيين اللسانية، ويدافع عن محمد والإسلام، ويهجو خصومهما.. قال يوماً للأنصار: «ما يمنع القوم الذين نصرُوا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألستهم؟!» فقال حسان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه، وقال عليه السلام: "والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء". ولم يكن حسان بن ثابت وحده هو الذي يرد غائلة المشركين من الشعراء؛ بل كان يقف إلى جانبه عدد كبير من الشعراء الذين صحَّ إسلامهم، وكان النبي يثني على شعر حسان، وكان يحثه على ذلك ويدعو له بمثل: "اللهم أیده بروح القدس"، وعطف عليه وقربه منه، وقسم له من الغنائم والعطايا، إلا أن حسان بن ثابت لم

^{٤٩} جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، (دار الفكر: بيروت- لبنان) الطبعة الأولى، ص: ١٦١

يكن يهجو قريشاً بالكفر وعبادة الأوثان؛ وإنما كان يهجوهم بالأيام التي هُزموا فيها، ويُعيرهم بالمثالب والأنساب، ولو هجاهم بالكفر والشرك ما بلغ منهم مبلغاً^{٥٠}.

نصب حسان نفسه للدفاع عن الدين الجديد والرد على أنصار القديم، وقد نشبت بين الفريقين معارك لسانية حامية، فكان الشعر شعر نضال يهجي فيه الأعداء ويمدح فيه رجال الفريق، ولم يكن المدح ولا الهجاء للتكسب أو الاستجداء، بل للدفاع عن سلطتين دينيتين وعن حكّامين مختلفين. ومن ثم اصطبغ الشعر بصبغة السياسة فكان شعراً سياسياً حقيقياً.

وفي هذه الحقبة أصبح حسان شاعر الرسول وأصبح شعره سجلاً لجميع الأحداث التي توالى على المسلمين وأصبحت لحسان منزلة خاصة في نفوس المسلمين لدفاعه عن الرسول الكريم وذبة عن الإسلام وأحيط شعره بهالة من الإعجاب والتقدير. وهذه المكانة التي حظي بها حسان هي التي تفسر ما تقدم وذكرناه في المقدمة وهو كثرة ما أضيف إليه من الشعر حتى لقد حمل عليه ما لم يحمل مثله على أي شاعر إسلامي آخر^{٥١}.

قال حسان يهجو الحارث بن عوف:

يا حار من يغدر بذمة جاره # منكم فإن محمداً لم يغدر
أن تغدروا فالغدر منكم شيمة # والغدر ينبت في أصول السخبر
وأمانة المريّ حيث لقيته # مثل الزجاجة صدعها لم يجبر

ولم يكن أسلوب حسان في هجائه طعناً في أصل قريش ونسبهم، بل كان الشاعر يعمد إلى الواحد منهم فيفصله عن الدوحة القريشة، ويجعله فيها طائراً غريباً

^{٥٠} حسان بن ثابت _ ar.wikipedia.org/wiki/

^{٥١} الأستاذ عبداً. مهنا، ديوان حسان بن ثابت، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية)، ص: ١٣

يلجأ إليها كعبد أو دعيٍّ أو متبنّيٍّ، أو يجعله غصناً مريضاً منفسداً، ثم يذكر نسبه لأمة فيطعن به طعناً شنيعاً. ثم يسدّد سهامه إلى أخلاق الرجل وعرضه فيمزقها تمزيقاً، في إقذاع شديد، ويخرج ذلك الرجل موطناً للؤم والجهل والبخل والجبن والقذارة والفرار عن إنقاذ الأحبة من وهدة الموت في المعارك.

واقصر مدح حسان لهذا العهد على النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه وكبار الصحابة، الذي أبلوا في الدفاع عن الإسلام بلاءً حسناً. وهو مدح يختلف عن المدح التكميلي بصدوفه عن التقلّب على معاني العطاء والجود وما أليه، والانطواء على وصف الخصال الحميدة ورسالة الرسول صلى الله عليه وسلم. قال حسان:

نبي أتانا بعد يأسٍ وفترةٍ #

من الرسول والأوثان في الأرض تُعبدُ

فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً #

يلوج كما لاح الصقيل المهند

وأنذرنا ناراً وبشر جنة #

وعلمنا الإسلام فـالله نحمـ^{٥٢}

وقال حسان يمدح أبا بكر الصديق:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة #

فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

التالي الثاني المحمود شيمته #

وأول الناس طرا صدق الرسلا

^{٥٢} الأستاذ عبداً. مهنا، ديوان حسان بن ثابت، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية)، ص: ١٤

والثاني اثنين في الغار المنيف وقد

طاف العدو به إذ صعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا

من البرية لم يعدل به رجلاً

خير البرية أتقاهها وأرفهاها

بعد النبي وأوفاهها بما حملا

وإذا كنا اقتصرنا على إعطاء أمثلة من المهجاء والمدح من شعر حسان، فليس معنى هذا أنه لم يقل شعراً في باقي الأعراس، فقد كان له شعر جيد في الرثاء، والفخر، والغزل، ووصف الخمر، ووصف مجالس اللهو والغناء، والمشاهد الشعرية المتنوعة. ومهما يكن من أمر فقد جمع شعره نماذج رائعة من جيد الشعر الجاهلي، وقصائد متقنة من أظهر ما قيل في العصر النبوي، وحقائق تاريخية معينة على دراسة الانقلاب الحمدي، وأشعاراً طريفة تنبئ عن الحياة الشعرية الجديدة التي أخذ في بعثها الدين الجديد^{٥٣}.

أكثر شعر حسان في المهجاء، وما تبقى في الافتخار بالأنصار، ومدح محمد والغساسنة والنعمان بن المنذر وغيرهم من سادات العرب وأشرفهم، ووصف مجالس اللهو والخمر مع شيء من الغزل، إلا أنه منذ إسلامه التزم بمبادئ الإسلام، ومن خلال شعر حسان بن ثابت نجد أن الشعر الإسلامي اكتسب رقة في التعبير بعد أن عمّر الإيمان قلوب الشعراء، وهي شديدة التأثير بالقرآن الكريم والحديث الشريف مع وجود الألفاظ البدوية الصحراوية^{٥٤}.

^{٥٣} الأستاذ عبدأ. مهنا، ديوان حسان بن ثابت، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية)، ص: ١٥

^{٥٤} حسان بن ثابت/ ar.wikipedia.org/wiki